الحرب النفسية الالكترونية

د. يسرى خالد ابراهيم
كلية الاداب – الجامعة الاسلامية

مقدمة

لقد تحولت المواجهات اليوم من ساحة المعركة الى الوسائط الاعلامية والنصوص الالكترونية بهدف التعويض عن القدرات المادية والتقليل من الخسائر البشرية فأحـــدثت هذه الحـــروب في ظل انتشـــار الانترنت والبـــث الفضائي تأثيرات جمة في المجتمعات وحققـــت اهدافا اســـتراتيجية لهذا النوع من الحروب اوسع مما خطط لها فأصبحت المواجهات الاعلامية على المواقـــع الالكترونية والفضائيات تتعامل مع جميع المفردات المعلوماتية التي يتلقاها الكائن البشري بـــوصفه مجموعة او افراداً اوكياناً اجتماعياً بهدف احـــداث التأثير من خلال التخويف والتهويل والتضليل المعلوماتي الذي يصور الخيال اقرب الى الواقع فنشطت هذه الانواع من الحروب مؤخرا واصبحت بحاجة الى تأمل ودراسة لمعرفة انواعها وطرقها ونتائجها . فتم دراسة هذا الموضوع بأربعة مباحث هي:

اهمية البحث

تكمن اهمية البحث في زيادة حجم استخدام المورد المعلوماتي بادارة النشاط البشـــري في المجتمعات المعاصرة حيث تسبب هذا النشاط اعادة تشكيل العديد من المفاهيم حول ابواب استخدامها في قطاعات متعددة وبأساليب يستثمر من خلالها البيئة الرقمية بطرق متميزة في احداث التاثيرات المطلوبـــةعلى الجمهور المستهدف من هذه الحرب

مشكلة البحث

تظهر مشكلة البحث في تطور ابعاد واشكال الصراع البشري ومنها حـــرب المعلوماتية التي اعتمدت الصورة والكلمة احد اهم ادواتها حيث انطلقـــت مع ظهور البـــث الفضائي وتطور شبـــكات الانترنت وتنوع المواقع الالكترونية وتعدد اتجاهاتها وايديولوجياتها ومن هنا تتحدد تساؤولات البحث في الاتي

1) ما المقصود بالحرب النفسية الالكترونية وما انواعها؟
2) ما الفرق بينها وبين الحرب النفسية التقليدية؟
3) ما اهم النظريات التي تعتمدها الحرب النفسية الالكترونية ؟
4) اين تتركز حدودها ومساحة تأثيرها الجماهيري ؟
5) هل تختلف استراتيجية الحرب انفسية الالكترونية عن التقليدية ؟

اهداف البحث

يسعى البحث من خلال الخطوات والاجراءات المنهجية والنظرية الى تحقيق الاهداف الاتية :
1)تحديد مفهوم الحرب النفسية الالكترونية 2)تشخيص اهم المستحدثات في استراتيجيات الحرب النفسية الالكترونية 3)الوقوف على حدود وانماط هذا النوع من الحروب عن طريق استعراض انواعها وطرقها على الانترنت والقنوات الفضائية

منهج البحث

تعتمد البحوث الاعلامية على المنهج الوصفي لانه الاكثر انسجاما ويساعد في تسجيل الوقائع والظواهر المرتبطة بالبحث من خلال تفسير العلاقات الترابطية بين المتغيرات وما تحمله من تغيرات سلوكية بما تحدثه من تغيير في افكار وقيم الجمهور المستهدف .

المبحث الثاني \مفهوم الحرب النفسية الالكترونية واهم النظريات المتعلقة بها

في عام 1991 شنت الولايات المتحدة الامريكية حرب الخليج الاولى على العراق فكانت حربا غير تقليدية ولم تلتزم بالعرف الدولي المتعارف عليه في تاريخ الحروب فهي لم تكن حرب اسلحة ودبابات بقدر ما كانت حرب كلمات وصور فهي بحق تعد من اوائل الحروب المعلوماتية التي شنها البشر ضد بعضهم البعض فهي حرب اعلامية بالدرجة الاولى .

ففي عصر المعلومات تحولت الحروب الى حروب معلوماتية فلم تعد القدرة العسكرية هي الاساس بل اصبحت للبيانات والمعلومات وادواتها هجمات معلوماتية تحقق الاهداف بأقل عدد من الخسائر البشرية كذلك مازال الانسان يحاول البحث عن طرق لجعل الاسلحة اكثر ذكاء بهدف التقليل من الخسائر وما زال يبحث عن الطرق البديلة للاستخدام البشري في ساحات القتال وما زال يبحث عن اراض جديدة لتكون ساحات للقتال فوجد ان الساحات الافتراضية وخطوط الشبكة العنكبوتية مجالا خصبا لتحقيق هذه الاهداف .(1)

حيث يضع المخططون العسكريون الحروب المعلوماتية في قائمة الحروب غير المتساوقة

دم في عملياتها طرقا غير تقليدية تمارسها مجاميع محدودة من المهاجمين تمنح
المعلومات لافراد فرصة احداث خلل كبير في منظومة المعلومات المحلية التي تديرها الـ
قد تؤدي الى حصول توقف جزئي او كلي في مواقع ويب الشركات متعددة الجنسية .(2) وقد عد العاملون في ميدان الأمن المعلومات والمواجهات المعلوماتية القائمة في الشرق الاوسط بين العرب واسرائيل انموذجا للحرب المعلوماتية الجديدة والتي بدأالكثير من المؤسسات العسكرية تراقبها لتحديد معالم هذا النوع الجديد من الحروب المحتملة،(3)لقد حملت التطورات الكبيرة في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلوماتية العديد من التغييرات في المفاهيم والصيغ التي اعتادها الانسان فيما مضى ورغم ان الاقطار العربية تعد من الدول النامية وهي في الاعتبارات الزمنية حديثة الاستقلال لكنها مازالت تعاني التبعية في الكثير من المجالات الاقتصادية والسياسية والاعلامية ثم جاء النوع الجديد من الاستعمار بثوب العولمة الذي اخذ يستخدم اسلوب مسخ الهويات والقوميات .
وهنالك تساؤل يطرح نفسه وهو هل تمكنت هذه الدول ان تستقل حقا ؟وهل ما تحصل عليه من ثمار التكنولوجيا يساعدها في تحقيق الاستقلال الفعلي ام ان هذه التكنولوجيا تزيد من تبعيتها للدول المستعمرة فهل هذه التكنولوجيا محايدة ؟ من المعروف ان اي تطور في الحياة ودخول اي اختراع جديد يحدث تغييرا اجتماعيا في العديد من مجالات الانشطة البشرية فالمجتمعات في عصر الصحافة غيرها في عصر التلفزيون وغيرها في عصر الشبكات والمجتمعات الافتراضية فلكل مجتمع خصوصيته التي تميزه عن غيره من المجتمعات وتحدد هذه الخصوصية خصائص المرحلة التي يعيشها فمجتمعات الموجة الثالثة اختلفت في الكثير من الجوانب سواء على المستوى الاجتماعي او الاقتصادي او السياسي ومن ثم فالمؤثرات التي كانت تحدث في المجتمعات الزراعية والصناعية تختلف عن المؤثرات التي تحدث في مجتمع المعلومات ،ويتفق مع هذا الراي سيزهاملتك الذي يرى ان التكنولوجيا تشكل المعرفة وان التلفزيون يشكل نوعا من المعرفة الآلية التي اصبحت تشكل عملية ادارة العقول كما تشكل السيطرة الثقافية ،(4) ويرى ستيفنسن ان اندماج ثلاث تقنيات اتصالية هي الاقمار الصناعية والكومبيوتر والنظام الرقمي يؤدي الى تغيير سريع في الثقافات وانهيار ثقافات اخرى.(5)
وفي الحقيقة ان انتشار هذه التكنولوجيا كان لها انعكاسات سلبية الى جانب الخدمات الايجابية التي وفرتها منها على سبيل المثال زيادة الحاجة الى تعلم اللغة الانكليزية واستخدامها كما فرضت هذه التكنولوجيا نوعية من الثقافة تقوم على التسلية نتيجة ارتباط هذه التكنولوجيا بفكر العولمة التي تعمل

على تسطيح الافكار و الثقافات ،(6)كذلك التقنيات الدعائية الكثيفة التي استخدمت في حرب كوسفو والتي لجأت اليها الاطراف المتصارعة كنوع من الاسلحة المكملة هدفها التأثير في العدو وبث البلبلة في صفوفه واختراقه نفسيا حيث كانت هذه الحرب هي الاولى التي اطلق عليها الحرب السيكولوجية الالكترونية او الحرب النفسية الالكترونية التي اثبتت فعالية الانترنت كسلاح دعائي في الحرب النفسية واعطت للصراع بعدا اخر .(7) فالعمل الدعائي على الانترنت يتطلب استراتيجية ذكية تكمن في وضع قائمة بأسماء الشخصيات الفاعلة واغراق صناديقها الالكترونية بالرسائل الدعائية من كل نوع . ومن ابرز الاسلحة المستخدمة في الحرب النفسية الالكترونية هو التضخيم المعلوماتي واغراق الخصم بالمعلومات حتى يصعب عليه التمييز بين الخطأ والصواب من جانب وهناك اسلوب اخر هو التجهيل والتضليل من خلال بث بعض المعلومات بأساليب معينة تؤدي الى دفع الجمهور لاتخاذ ردود افعال ومواقف طبقا لما تريده تلك القوى المسيطرة على عملية تدفق الاخبار وتؤدي الى زيادة الخوف لدى الجماهير والخضوع لسياسة الخصم وهذا ما اتبعته الولايات المتحدة عقب احداث 11\ايلول\2001 .

هذه الجوانب تجعلنا نبحث بموضوع الحرب النفسية الالكترونية في مجالات عديدة واوجه مختلفة لكن بداية لابد من تحديد مفهوم الحرب النفسية الالكترونية بعد استعراض المفاهيم التي تتقاطع معها :

*اولاامفهوم الحرب النفسية الالكترونية لم يتم تناول مفهوم الحرب النفسية الالكترونية بمعناها الصحيح في ادبيات الاعلام حتى يومنا هذا لكن هناك عدد من المحاولات لباحثين في تحديد مفاهيم تقترب من مفهوم الحرب النفسية الالكترونية فهناك عدد كبير من التعريفات لمفهوم الحرب النفسية والدعاية في الكثير من الادبيات الغربية والعربية فمثلا طبقا لتعريف عالم الاجتماع الفرنسي جاك ايلوك s.Ellul للدعاية هي (مجموعة من الوسائل يتم توظيفها بواسطة جماعة معينة منظمة تريد تحقيق مشاركة نشطة او سلبية في عمل معين تقوم به اتجاه جماهير موحدة سيكولوجيا من خلال التلاعب او التصنيع السيكولوجي)(8)

الارهاب المعلوماتي (عبارة عن استخدام المحرض سياسيا للحاسوب بوصفه سلاحا او هدفا بواسطة مجاميع او عملاء تهدف الى اثارة الرعب ونشره للتأثير في افراد المجتمع او اكراه الحكومة على تغيير سياستها الوطنية لصالح اهداف هذه المجاميع)(9)وتعتبر الولايات المتحدة هي اول من استخدم مصطلح الارهاب وحددت قوانينه أنه(نوع من انواع العنف المتعمد والمحرض من جهات سياسية يمارس ضد اهداف مدنية بواسطة مجاميع او عملاء تهدف بأفعالها التأثير في الرأي العام او إثارة

الرعب والهلع في المجتمع المستهدف)(10) اما الارهاب الفضائي فهو (اعتداء مدفوع سياسيا ضد المعلومات ونظم الحاسب وبرامج الحاسب والبيانات ويؤدي الى العنف ضد اهداف سليمة من قبل مجموعات او عملاء)(11) ويعد مصطلح الارهاب من اكثر المصطلحات هلامية وغموضاً وليس هناك تعريف محدد له حيث يقول دنيس ماكويل (من الصعب استخدام مصطلح الارهاب لانه مفهوم متغير من ثقافة الى اخرى وهو يشير الى اعمال عنف ضد الاخر ونادرا ما تصف وسائل الاعلام الاعمال العنيفة التي تقوم بها الدول بأنها ارهاب خاصة اذا كانت الدول التي تقوم بهذا العمل دولاً صديقة)(12) اما الاستعمار الاعلامي فيعرفه اوليفر بويدباريت بأنه (العملية التي تتعرض فيها ملكية وسائل الاعلام وتركيبها ومضمونها في دولة معينة لضغوط خارجية من المصالح الاعلامية لدول اخرى)(13) وقدم اركويلا ورنفلد مفهوم حرب المعلومات في ثلاثة مستويات هي :(14)

1)حرب الشبكات وهي المعلومات ذات الصلة بالصراع مع المستوى الكبير بين الامم والمجتمعات وتشمل تعطيل وارباك وتدمير البنية التحتية لدى الخصم 2)الحرب الفضائية تتعلق بالعمليات العسكرية التي تتم وفق المباديء المتصلة بالمعلومات 3)الارهاب الفضائي وهو المستوى الأخير من حرب المعلومات وهو استخدام الارهاب للمعلومات ومهاجمة البناء التحتي المعلوماتي خاصة مع زيادة الانكشافات في هذه البنية وتعرف وزارة الدفاع الامريكية العمليات النفسية انها (عمليات مخططة تصاحبها معلومات ومؤثرات ومنتقاة موجهة الى مستمعين اجانب للتأثير على مشاعرهم ودوافعهم وتبريراتهم المنطقية بأقصى درجة لسلوكيات الحكومة الاجنبية والمنظمات والجماعات والافراد ان هدف العمليات النفسية هو اغواء او تعزيز الاتجاهات الاجنبية والسلوكيات المحببة للاهداف المرسل)(15)وهنا تجد الباحثة ضرورة وضع تعريف اجرائي لمفهوم الحرب النفسية الالكترونية التي ستكون منطلقا للورقات القادمة :

الحرب النفسية الالكترونية هي نشاط اتصالي تمارسه الدول المستعمرة وذات السلطة ضد الدول والجماهير المستضعفة باستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة من بث فضائي وانترنت بخدماته المتنوعة بهدف التأثير واثارة الخوف بالجمهور المستهدف من خلال ما تبثه من معلومات مضخمة او بث سيل ضخم من المعلومات تؤدي الى ارباك الاخر وتشويشه .

* ثانيا\النظريات التي تعمل وفق مفهوم الحرب النفسية

في عالم يسوده الصراع وعدم توازن القوى فأنه عندما تلجا الى اساليب الحرب النفسية واستخدامها الكترونيا فان هذه الاستخدامات لاتاتي من فراغ بل انها مبنية على اسس ومعايير علمية وتجارب

مختبرية فالحـــرب المعلوماتية تتم على مســـتوى رمزي ولكل اطراف الصراع لابـــد ان يكون لها العلمية التي تعتمدها في التوجه الى الجمهور المستهدف .

ولكي نفهم دور الاعلام في لعبة القوى علينا اولا فهم طبيعة العلاقات التي تربط بين القـــوى الرمزية والقوى السياسية والاقتصادية والامنية وهي تعتمد على امرين اساسيين هما : (16)

1)تغيير محاور التحالف بين القـــوى الاجتماعية حـــيث كان فرض الســـيطرة في الماضي يكمن في استعراض قوة القلة الحاكمة على الكثرة المحكومة اما في عصرنا هذا فأن الكثرة المحكومة تبقى على مرى القلة الحاكمة ويتم ذلك عن طريق نظم الاعلام الموجه من شاشات التلفزيون وشبكات المعلومات (الانترنت)والرقابة الالكترونية فقد اثبتت التجارب ان مصير اية قوة سياسية رهن بوجودها الاعلامي المتوازن وهلاكها في اغفال هذا الوجود او الاسراف فيه فالاعلام هو ساحة لحوار الثقـــافات وتعددها وتنوعها لذلك فأن مصير المجتمع الانساني يتوقف على طبيعة العلاقة بين عولمة الاقـــتصاد وعولمة الاعلام . 2)القوى اللينة وطبيعتها تصنف القوى الرمزية بأنها قوى لينة حيث تختلف اختلافا جوهريا عن القوى التقليدية لانها تعمل بالجذب لابالضغط وبالترغيب لابالترهيب وتستخدم لغة العقول من اجل كسب الاراء وانتزاع الارادةالجماعية وفرض المواقف وقد توســـع دور الاعلام في ظل هذه القـــوى فأحتل مساحات واسعة على الفضائيات والشبكة العنكبوتية .

وتعد المعلومات التي تبثها وسائل الاعلام الالكترونية نوع من توجيه الادراك وادارة دفته حـــيث تتم ممارسة جملة من النشـــاطات الاعلامية والمعلوماتية لترســـيخ او الغاء معلومات اخرى .(17) ومن ابشع الاستخدامات لهذه القوى الرمزية في الحـــروب والصراعات هو ما فعلته اذاعة ميل كولينز في راوندا باشعالها نيران الفتنة القبلية بأهل هذا البلد الافريقي فتسبب هذا البـــوق الاعلامي اللاخلاقـــي بضحايا من قبائل التوتسي اكثر مما حصدته القنبـــلة الذرية في هيروشـــيما وناكازاكي ،(18) فهناك الكثير من الاساليب التي تعتمدها القوى اللينة فهي اكثر خطورة من القـــوى الصلدة لان الثانية تنشـــط في المواجهات المباشرة فقط لكن الاولى تنشط في كل وقت وحين ومن اهم وسائلها :

الرسائل الالكترونية،الحملات الاعلامية والمعارك الكلامية في الاذاعات الموجهه والدولية والبـــث الفضائي وما يشكله من غزو ثقافي والكتروني والاكتساح الاعلامي بما يسببه من اشاعة لثقافة العنف في المجتمعات النامية من خلال البرامج والافلام والمسلسلات الموجهة ذات الطبيعة الاستهلاكية .

وهناك نظريتان نشطتا في هذا الجانب هما :(19)

1)النظرية التركيبية للاستعمار :وضعها جالتونج حيث حـــددت خمســـة من انواع الاســـتعمار هي

الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي والاستعمار الاقتصادي والاستعمال الاتصالي والاستعمار الثقافي ويرى ان هذه الانواع من الاستعمار تمر بثلاث مراحل هي :(20) المرحلة الاولى – الاستيطان باحتلال اراضي الشعوب المرحلة الثانية –الاستعمار الجديد وهي بقاء الدول تابعة للدول المستعمرة المرحلة الثالثة –الاستعمار الاتصالي بالسيطرة على ثقافة الشعوب ومسخ هويتها حيث تعطي النظرية التركيبية لجالتونج اهمية كبيرة للاتصال الدولي في السيطرة كونها نمط متميز من الاستعمار فهي نظرية اكثر شمولا وعمقا وتتفق مع نظرية السيطرة لانها تشير الى تركيب القوة وسعي دول المركز لامتلاك القوة والتحكم .

2)نظرية السيطرة(21)–وهي مشتقة من كتابات المفكر الايطالي انطونيو جرامشي نشطت عام 1971 وتشير الى العملية التي يمكن بواسطتها للطبقة المسيطرة ان تحافظ على قوتها وتحصل على رضا الطبقات التابعة لها واوضح الباحثان ستيوارت وهول هذه النظرية من خلال الاتصال على النحو التالي :

أ–السيطرة النووية –وتتمثل باحتكار روسيا وامريكا للقوى النووية وتسعى لمنع اية دولة من امتلاك هذه القوة .

ب– السيطرة السياسية –قيام الولايات المتحدة بعقد تحالفات مع الدول التابعة لها ج–السيطرة الاقتصادية–حيث يتم تركيب الاقتصاد وفقا لارادة الولايات المتحدة د–السيطرة الثقافية– وهي من اصعب انواع السيطرة لانها تشكل البيئة الدولية المناسبة لفرض الانواع الاخرى من السيطرة متمثلة بتقنيات الحاسوب وشبكة المعلومات الدولية والبث الفضائي الوافد .

ثالثا \الاليات السائدة في الحرب النفسية الالكترونية

هناك اربعة محاور لهذه الحرب على شبكة المعلومات وتشمل :(22)

1)الاعتصام والحصار الافتراضي –من خلال زج كميات ضخمة من المعلومات على المواقع المقصودة فتسبب شلل في عمل الموقع

2)قنبلة البريد الالكتروني –تعتمد ارسال سيل من الرسائل الالكترونية الى صندوق بريد الشخص مما يؤدي الى فيضان معلوماتي يتسبب في فقدان القدرة على استلام الرسائل

3)قرصنة مواقع الويب واختراق الحواسيب– وتركز هذه الالية بالدخول غير المشروع الى احدى المواقع واستبدال البيانات الموجودة عليها بمعلومات جديدة تغير هويته وتطمس معالم الاهداف التي انشيء لأجلها

4)توظيف الفايروسات والديدان –وذلك بزجها الى الانترنت ونشرها في شبكات المعلومات الوطنية بقصد احداث خلل مؤقت او دائم في الملفات ونظم التشغيل المستهدفة

***استراتيجية الحرب النفسية الالكترونية :**

من اهم الاستراتيجيات التي تعمل بها الولايات المتحـــدة الامريكية هو اعتمادها على الاقـــتصاد غير المادي في زحفها على العالم وذلك من خلال السيطرة على منافذ المعلومات الرئيســـية في الشبـــكات ،ويظهر ذلك جليا من خلال استحواذها على ثلاثة عشر مصدراً من ممولي الانترنت وتأتي الشـــركة البريطانية للاتصالات في المرتبة الرابعة عشرة وبذلك حققت الاستراتيجية الامريكية انتصارها الاول في الزحـــف على العقـــول ومن ثم تمكنت بـــعد ذلك من الســـــيطرة التامة على التجارة الالكترونية ،(23)وبذلك فقد استخدمت الولايات المتحدة الامريكية في هذه العملية اســـتراتيجيتين في التعامل مع المعلومات وهي :(24)

1)الاغراق من خلال ضخ كميات كبـــيرة من المعلومات غير المترابـــطة وغالبـــا ماتكون سطحـــية ومشوشة ومتناقضة لكنها تعطي انطباعاانها موضوعية فقـــد اغرقـــت الولايات المتحـــدة الامريكية السلطات العراقية بالمعلومات حتى عجزت عن معرفة الطرق الملائمة للتعامل معها .

2)الاستراتيجية الثانية نقص المعلومات وتعتمد على التجهيل وعدم امداد الناس بالمعلومات اللازمة لاتخاذ قرارات صحيحة ويؤدي ذلك الى التقليل من قدرتهم على المساهمة في اتخاذ القرارات

المبحث الثالث

وسائل الحرب النفسية الالكترونية

اولاالانترنت ساهم الانترنت مساهمة فعالة في تغيير انساق الحروب النفسية التقليدية والخروج بـــها الى الفضاء الافتراضي لتحقيق اهداف اوسع واكثر عمقا ففي اطار تغير هذه المفاهيم التي جعلت القناة المعلوماتية الة فاعلة في هذه الحروب والتي ســـخرت لخدمتها مفاهيم علم النفس والاجتماع وتقـــنيات المعلومات والاتصالات لبلوغ اهدافها والتأثير في الوعي الانساني .

فالاختراق الثقافي بوصفه الية معلوماتية تمارس في اطار المجتمع الرقـــمي من قبـــل جهات مختلفة تهيمن على عمليات تكييف الوعي الفردي للمستخدم وتسعى الى توجيهه صوب غايات متعددة بـــهدف اخضاع النفوس في حدود البيئة الرقمية واحكام السيطرة على ادراك ممهدة بذلك تعطيل فاعلية العقـــل والمنطق وتوجيه ملكة الخيال وقولبة السلوك بما يخدم الة الاقتصاد العولمي لتتحول بذلك هذه البـــيئة الى سوق استهلاكية ذات اهتمامات مشتتة ومتفرقة .(25) وقد ورد في شهادة المدير السابـــق لوكالة

المخابـــرات المركزية الامريكية جون دوتش في منتصف عام 1995 العبـــــارة الاتية (ان المجاميع الارهابية الدولية باتت قادرة على تهديد ومهاجمة البنى التحتية للمعلومات في الولايات المتحدة حـــتى وان لم يتوفر لها سوى ادوات معلوماتية بدائية وقدمت قائمة باسماء هذه المجاميع كان اسم حـــزب الله من بينها)(26)حيث عمل حزب الله على نشر صور للمذابح الاسرائيلية في لبـــنان وفلســـطين على الانترنت الامر الذي دفع الصهاينة الى كف هذه المواقع وايقافها لدرء ما يمكن ان تؤثر به على الراي العام الاسرائيلي ،(27)ويعتمد النسق المفاهيمي للحرب النفسية الالكترونية على نظرية الموجة الثالثة التي جاء بـــها الباحـــث الامريكي الفن توفلر وتذهب هذه النظرية الى افتراض مرور العالم بـــثلاث موجات من الثورات التقنية جاعلة تقنية المعلومات هي الموجة الثالثة التي ادت الى تغييرات حاســـمة في الانساق والمفاهيم السائدة في ميدان الاتصال والاعلام كما احـــدثت تغييرات جوهرية في طبـــيعة الاليات المعرفية والاعلامية التي يمارسها الانسان المعاصر بـــعد ظهور خدمات الوســـائط المتعددة والتضخم الكبير في حجم البيانات والمعلومات كل هذه الامور دعت الى اهتمام عدد كبير من الباحثين بمفاهيم هذه النظرية منهم جون بويد الذي ذهب الى تأكيد وجود حلقة تأثيرية تتألف مادتها من اربـــعة عناصر رئيسية يرمز لها (ooDA)تمارس في الذهن البشري وهي :(28)

" يراقب observe " يوجه orient " يقرر Decide " يفعل Act وتســـهم نشـــاطات الحرب النفسية المعلوماتية في احداث خلل في حلقة ooDA لدى الاخر بقـــصد احـــداث تأخير في نمطها الدوري وفي الوقت ذاته تعمل على تحسين النمط الدوري لذاتية اخرى فتضمن بـــذلك تفوقـــا ملموسا للجهة التي تمارس هذا النمط من النشاط .

ومن ابرز هذه المواجهات المعلوماتية هو دخول تقنية المعلومات وادواتها الرقمية وما حملته معها من قدرات الى الفضاء المعلوماتي وبروز تهديدات جديدة تمثلت في زج الفايروسات والديدان المعلوماتية في نظم معلومات الخصم وامكانية احداث خلل في مواقعه المقيمة على صفحات الويب بآلية افتراضية رقمية تشبه الخلل الذي يحدث في كيانات المؤسسات الواقـــعية ومن امثلة ذلك المواجهات المعلوماتية بين حزب الله واليهود التي اصبحت تشكل سلســـلة من التهديدات والمواجهات توازي ما يحـــصل في ارض الواقع .(29) ومن اسباب قوة تأثير الانترنت في الحرب النفسية الالكترونية هو تضاعف اعداد المستخدمين لشبكة الانترنت وذلك لما تتمتع به هذه الشبكة من مزايا منفردة فقد بلغ عدد المســـتخدمين في شباط 2007 ما يقرب 1،093بليون مستخدم على مستوى العالم وذلك بمعدل 202،9%مقـــارنة بعام 2000 ووصل عدد مستخدميها في العالم العربي في 2007 الى 24مليون مستخدم وقد تقـــدمت

الدول الاسيوية من حيث عدد المستخدمين بنسبة 35،6% يليها الاوربية 8،1%وافريقيا3،5%وتأتي في نهاية الترتيب منطقة الشرق الأوسط 1،7%واستراليا1،8%.(30) وهنا لابد من الاشارة الى اهمية خلق وعي معلوماتي لدى المجتمعات التي لم تستوعب بعد اهمية اشكاليات الاتصال الحديث وابعادها والرهانات التي تطرحها في بناء فضاء معلوماتي عالمي خاصة مع توسع ظاهرة العولمة التي بدأت بابتلاع الهويات الوطنية واسست لأيديولوجيات السوق التي لاترى في المجتمعات على اختلافها سوى جماعات استهلاكية من السهل التحكم بها وتوجيه مساراتها ،(31) وقد تم تقسيم استراتيجية هذه المواجهات في البيئة الرقمية بين العرب واسرائيل الى اربع مراحل اساسية هي (32):

المرحلة الاولى –تعطيل وشل مواقع العدو والتاثير واحداث الضرر الاقتصادي

المرحلة الثانية –توجيه هجمات باتجاه تخريب مواقع اسواق المال والبنك الاسرائيلي المرحلة الثالثة –مهاجمة مجهزات خدمة الانترنت لتعطيل مواقع الويب للعدو المرحلة الرابعة –شن هجمات متتابعة وواسعة لشل الاقتصاد وهذه المرحلة قد اتت ثمارها باحداث خسائر وهبوط للاسعار الاسهم الاسرائيلية بلغت 8%حسب الاحصائيات المعروفة وقد اتخذت استراتيجيات المواجهة في الصراع العربي الاسرائيلي الاشكال الاتية :(33)

1)هجمات التشويه من خلال تشويه المحتوى الرقمي وادراج صور ونصوص بدلا من المحتوى الاصلي بهدف بلبلة محتوى الخطاب السياسي للخصم

2)هجمات رفض الخدمة وذلك بأغراق مواقع الخصم برسائل البريد الالكتروني وانهاكه بكم هائل من الطلبات التي ينجم عنها عطل الموقع

3)الارهاب المعلوماتي(*) ويتميز بزيادة نطاق تأثيراته المحتملة بحيث قد تطال عددا كبيرا من المواقع بالوقت نفسه مع امكانية زيادة حجم الهجمات لتؤثر على البنية التحتية للمؤسسات الحكومية والشركات التجارية واحداث اضرار شاملة له . وهناك قضية مهمة تعد احد ادوات الحرب النفسية الالكترونية وهي مسألة سيادة لغة على اخرى حيث اننا نجد سيادة اللغة الانكليزية التي اخذت طابعها على الشبكة مثل(E–MAIL اي ميل)عوضا عن البريد الالكتروني (CHAT) عوضا عن المحادثة فالخشية هو من سيادة رموز الاتصال على رموز الثقافة وفي المحصلة النهائية مهاجمة منظومة القيم السائدة .(34) فان اجبار المستخدم اعتماد هذه المصطلحات باللغات المسيطرة على الشبكة تعد بحد ذاتها ترسيخا لمفاهيم الحرب النفسية الالكترونية وتحقيقا لاهداف الاستعمار الحديثة المتمثلة بالعولمة

وادواتها. ثانيا\الحـرب النفسـية والبـث الفضائي اسـتثمرت العديد من القـوى والجماعات عصر المعلومات في تغيير استراتيجيات الحرب النفسية وصيغتها بتسخير هذه التقـنيات لتحقـيق الاهداف بصورة اكثر عمقا وسرعة . فأصبحت التغطية التلفزيونية في الفضائيات احـد اهم ادوات الحـرب النفسية واختصر زمن الحروب التقليدية في الوصول الى الاهداف بزرع الهزيمة في نفس المقابل قبل بدء القتال فأتخذت اساليب التهديد والخداع بهدف القـضاء على روح المقـاومة وتحـطيم معنويات الشعوب ،(35)وتعد شبكة المعلومات الدولية من ابـرز الادوات التي اسـتخدمت في الحـرب على العراق لتسريبها كميات من المعلومات حول الحرب حيث بلغ عدد المواقع التي ظهرت في هذه الفترة (884056)موقعا فضلا عن دور البريد الالكتروني في تنظيم المظاهرات المليونية ضد الحرب ومن ابرز الشبكات التلفزيونية التي نشطت في هذا المجال شبكة CNN حيث انفردت بنقل التغطية الحـية المباشرة للحرب على العراق وكانت المصدر شبه الوحيد ببث الرسـائل على مدار السـاعة ومن ثم اصبحت نموذجا يقتدى به في العديد من القنوات الاخبارية العربـية المتخصصة ،(36) وقـد اشـار بطرس غالي عند توليه منصب الامين العام للامم المتحدة الى ان قـناة CNN هي العنصر السـادس عشر في مجلس الامن وذلك لخطورة الدور الذي يمكن ان تلعبه وسائل الاعلام في تشكيل السياسـات الدولية وقرارات الامم المتحدة ،(37)

واصبحت القنوات الفضائية من اكثر الوسائط الاعلامية ملاءمة لتحقـيق اهداف الحـرب النفسـية الالكترونية وذلك لانها تبث مادتها على مساحات واسعة ويمكن من خلالها شحـن الخطاب الاعلامي المحايد بمادة تخدم الاهداف التي تسعى اليها جهات بعينها حيث بـدأ الاعلام يمارس عبـر القـنوات الفضائية نوعا جديدا من الدبلوماسية اطلق عليها الدبلوماسية الشعبية بـعيدا عن تلك التي يمارسـها السياسيون وتتم هذه الدبلوماسية عبـر التواصل الاعلامي مع الشـعب لضمان التأثير وانعكاس ذلك التأثير على الرأي السياسي لصناع القـرار داخل حـدود البـلاد .(38) ومن اهم مميزات الرسـالة الاعلامية التلفزيونية هي :(39)

1.يطلق عليها الرسالة الاكثر اقناعا وذلك لان الرسالة التي تكون بين طرفين اكثر اقـناعا منها عندما تكون من طرف واحد وذلك بما وفرته من خدمات الاتصال التفاعلي

2.اسلوب الرسالة يؤثر في قدرتها الاقناعية

3.الرسالة الحية فيديو اكثر اقناعاوموثوقية وبساطة

4.تكشف مشاعر الخوف والفرح وشخصية المتكلم وخصائصه مباشرة الجمهور فقـد اسـتغلت الة

الدعاية الغربية فرصة البث الفضائي في توزيع دعايتها في السيطرة على العالم العربي من خلال الاعلام الالكتروني وتوسيع نطاق البث الخارجي عبر المحطات التلفزيونية الفضائية حيث حالفهاالنجاح في تسويق المعدات الالكترونية وتشغيل نظامهم الفضائي على اساس اقتصادي،(40)وقد دلت احصاءات اليونسكو ان الاثار الثقافية للدول الغربية ستتعاظم نتيجة لدخول توابع الاتصال في الميدان الثقافي وان الوظيفة الجديدة للاعلام تتمثل بالهيمنة الثقافية التي ترى اثارها بارزة من خلال انتشار فكر العولمة متمثلة بالهيمنة الثقافية وتبعية الدول النامية لها ،(41)وترتبط حروب المعلومات الاعلامية كثيرا بعمليات الاتصال مع عقول المشاهدين بدلا من الاهداف الفيزيائية وتسعى الى قولبة الصراع مع الخصم ليتخذ اسلوب مهاجمة العقول وتشكيل نمط ادراكي جديد يساهم في تغيير الرآي العام اتجاه القضية التي تطرحها القناة الفضائية ،(42) وقد ظهر تياران في معالجة دور القنوات الفضائية في التعامل مع الحدث ضمن نسيج النزاعات بمختلف انماطها هما :(43)

1)ذهب اصحاب التيار الاول الى عد وسائل الاعلام مصدرا مؤثرا في الرأي العام بعيدا عن دائرة العملية السياسية التي تعنى بتفاصيله مما يورث صناع القرار تحديات مضاعفة لما يواجهون على ساحة الحدث

2)التيار الثاني يعد دور الفضائيات جزء لايتجزا من الواقع الميداني لما توفره من معلومات تمثل موردا اساسيا لبيان ما يحدث على الارض ولتوفير بيئة مناسبة للانشاء مفاهيم وصناعة قرارات مناسبة لمعالجتها .

ومن ابرز الامثلة الحديثة للحروب التلفزيونية هو الحرب على العراق حيث تبنت العديد من وسائل الاعلام في العالم خلال الحرب على العراق مصطلحات فرضتها الولايات المتحدة الامريكية فأثرت على لغة الاعلام العالمي وتوجهاته لذلك تم تغطية هذه الحرب باستخدام المصطلحات الامريكية،(44) فقامت وسائل الاعلام بتصوير الواقع طبقا لمجموعة من التعبيرات المحددة مسبقا والتي تخاطب الاحساس العام لبناء واقع تريده الولايات المتحدة الامريكية وبناء اطار لفهم سابق وهذا التبني الاعلامي العالمي للمصطلحات الامريكية يعني نجاح الولايات المتحدة في تحويل وسائل الاعلام الى وسائل امريكية .

فالتغطية التلفزيونية في حرب الخليج عرفت بظاهرة حرب CNN كما وصفت الحرب في افغانستان ضد (القاعدة وطالبان)بأنها حرب قناة الجزيرة فقد لعبت هذه القناة دورا استراتيجيا في الحرب من خلال ما قامت بنقله من خدع واوهام لتحقيق اهداف عسكرية بحتة فكان لهذا البث دورا في الضغط

المباشر وغير المباشر على الحكومات وتحريك الرأي العام باتجاهات مختلفة .(45) فأعتمدت الدعاية في هذه الحرب على استراتيجيات العلاقات العامة من خلال:(46) 1. دراســـة خصائص الجمهور المستهدف من الحرب بدقة 2.تصميم رسائل اتصالية حــول اهمية الحــرب حــيث اســتخدمت فيها الاستمالات العاطفية والمنطقية وكان رئيس الوزراء البريطاني توني بلير احد القائمين بـــهذه العملية . فكانت الحرب على العراق حربا بصرية بـــالدرجة الاولى منحـــت الاعلام العربـــي فرصة لخوض تجارب ميدانية والممارسة المهنية لتوظيف التقنيات الحديثة بـــهدف ترســـيخ خطاب اعلامي من نوع جديد يمكنه التخلص من قيود الاخر .

ويرى خبراء الاعلام ان الحرب الانجلو امريكية قــد كشــفت عن الاتجاهات الامريكية الاتية :(47)

1.تزايد فلسفة الحرب التي فيها تعبئة الراي العام والتلاعب به وتشكيل التأييد العام للحروب التي تشنها الولايات المتحدة الامريكية

2.استخدام الدعاية كأداة لإدارة الحروب الدولية

3.تدهور المؤسسات الديمقراطية بما في ذلك وظيفة الصحافة ووسائل الاعلام

4.الصحفيون الامريكيون يجمعون الاخبار والمعلومات التي تتوافق مع توجهات الحكومة .

وبذلك اصبحت وسائل الاعلام الامريكية جزءا من الجيش الامريكي لما تبثه هذه الوســـائل من تضليل واكاذيب من اجل كسب الحرب وكان من نتائج هذه الحرب الاعلامية هو ما نشـــهد من تطور في اداء الفضائيات الاخبارية العربية التي تمكنت من فهم التجربة واستيعابها لممارسة العمل الاعلامي بمهنية فنجد ان الفضائيات الاخبارية اصبحت جزءا من الواقع السياسي فهي توجه الحــرب وتؤثر فيها من خلال المضامين المقدمة .

وقد تمخضت تجربة الحرب على العراق في الاتجاهات الاتية :

1. الخلط بين الخبر والرآي بهدف تشـــويش افكار الجمهور واربـــاكه وعدم قـــدرته على فهم الامور وتمييزها

2.الغوص في تفاصيل دقيقة دون تفسير للاحداث لابعاد الجمهور عن الفكرة الحقيقية واغراقه بعدد من الاستنتاجات والمعلومات المضللة

3.تهميش المحللين العراقيين في التعليق على الاحداث وذلك بمقابلة محللين وخبراء سياسيين بعيدين عن ارض الحدث ولديهم ميول واتجاهات تخدم مصالح قوى بعينها

4.الانتقائية في اختيار الصور حيث قامت عدد من المحطات التلفزيونية ومنها عربية ببث صور لجنود امريكان يلعبون مع اطفال عراقيين ويشاركونهم في الكثير من النشاطات فضلا عن زياراتهم للمدارس كلها اساليب دعائية ترسم صورة معاكسة لحقيقة المحتل وادواره

5.استخدام التأثيرات التلفزيونية مثل الشاشة المنقسمة او ما يطلق عليها النوافذ المتعددة 6. زيادة حدة المنافسة بين القنوات التلفزيونية حيث عدت هذه الحرب حربا اعلامية بالدرجة الاولى حيث تتسابق القنوات في بث الاخبار قبل دراستها وتوقع نتائج ردود افعال الجمهور نحوها

الخاتمة:

احدثت الثورة المعلوماتية تطورات واسعة في العديد من الميادين فكان الجانب الدعائي والنفسي احد اهم هذه المجالات حيث استغلت القوى العظمى هذه التطورات في ميدان تكنولوجيا الاتصال لتحقيق اهدافها واطماعها الاستعمارية في الساحات الافتراضية بعد ان فقدتها على ارض الواقع خاصة بعد اكتشافها سهولة تطبيق هذه الحروب وقلة الخسائر الناجمة عنها لكنها لم تدرك ان تنعكس عليها وتحارب بذات السلاح الذي وجهته الى الشعوب المغلوبة على امرها فكان من نتائج ذلك تطور واتساع مساحة الصراع الافتراضي وتعدد اشكاله واساليبه واستراتيجياته .

مصادر البحث :

1.الصادق رابح،الاعلام والتكنولوجيا الحديثة ،(الامارات ،دار الكتاب الجامعي ،2004)
2.حسن مظفر الرزو ،الفضاء المعلوماتي ،(بيروت ،مركزدراسات الوحدة العربية ،2007)
3.---------،حروب المعلومات الاعلامية عن كتاب ثورة الصورة المشهد الاعلامي وفضاء الواقع ،(بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،2008)
4.---------،المواجهة غير المعلنة بين حزب الله والكيان الصهيوني في الفضاء المعلوماتي للانترنت ،(بيروت ،مجلة المستقبل العربي ،العدد342، 8\2007
5.ذياب البداينة ،الامن وحرب المعلومات ،(عمان ،دار الشروق ،2006)
6.سليمان صالح ،الاعلام الدولي ،(الكويت ،دار الفلاح ،2003)
7.--------،ثورة الاتصال وحرية الاعلام ،(الكويت ،دار الفلاح ،2003)
8.مي العبدالله سنو ،التلفزيون وقضايا الاتصال في عالم متغير ،(بيروت،دار النهضة العربية ،2006)
9.نبيل علي ،الثقافة العربية وعصر المعلومات ،(الكويت ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،سلسلة عالم المعرفة ،العدد265، 2001)
10.نهى عاطف العبد،الاعلام الدولي ،(القاهرة ،الدار العربية للنشر ،2009)
11.يحيى اليحياوي، اوراق في التكتولوجيا والاعلام والديمقراطية ،(بيروت ،دار الطليعة ،2004)